مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد :06/ العـدد:02 / ديسمبر (2022)، ص. 20/12

أثر اللغة العربية في ترسيخ مقومات الهوية الوطنية.

The impact of the Arabic language on consolidating the elements of national identity.

محمد بلعباسي *
belabassi1973@hotmail.fr
جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - (الجزائر)

ربيحة عداد
rabha1983@hotmail.com
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/01/05 تاريخ القبول: 2022/04/12 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:

اللغة العربية وسيلة اتصال وتعبير ولغة عقيدة، وحضارة ضاربة في القدم لها إمكانات ذاتية هائلة من أصوات، وصرف، وتركيب ونحو، تواري به اللغات الأخرى، وتفنيدا للمقولة المتداولة التي خدرت عقول شبابنا وطلبتنا في الوقت الراهن" اللغة العربية سبب تخلف العرب"، نحاول في هذه الورقة البحثية البحث عن حقيقة اللغة العربية ومجمل مقوماتها ومكتسباتها بين الماضي والحاضر وتحديات الواقع والمستقبل، وقد آن الأوان للنهوض بلغتنا والتصدي لكل المزايدات والمضايقات التي تعتريها.

تتصف اللغة العربية بالعديد من الإمكانات الذاتية والامتيازات ومسايرتها لروح العصر وتكنولوجياته، إلا أنها واجهت ولازالت تواجه الكثير من المعوقات والعراقيل التي كانت سببا في ضعف استخدام هذه اللغة في جميع الميادين وكذا المحافظة على استقرار الهوية الوطنية، باعتبارها وسيلة تربط الأجيال ببعضها البعض، فيتناقلون بينهم الإرث التاريخي والفكري الذي يعزز ويقوي أواصر المحبة مما يجعلهم يعتزون بالإنتماء إلى هذه اللغة، وإلى هذا الوطن الذي ينتمي إلى هذه اللغة، فلابد من إعادة النظر في دراستها وتدريسها، وذلك بتحسين جودة العملية التعليمية والتعلمية بصفة عامة.

ولتقصّي ذلك سنسعى إلى معرفة مكانة اللغة العربية بين اللغات والأسس والمناهج التعليمية التي ينبغي انتهاجها للظفر بأحسن منظومة تعليمية للغة العربية تواكب متطلبات الحياة المعاصرة وعلاقتها بالهوية الوطنية، فهل تتناسب معها تناسبا طرديا أم عكسيا؟، وذلك في ورقة بحثية نوسمها بـ" **أثر اللغة العربية في ترسيخ مقومات الهوية الوطنية**".

وللإلمام بالموضوع نحاول إيراد:

مكانة اللغة العربية وإمكاناتها وامتيازاتها الذاتية.

واقع تعليمية اللغة العربية.

علاقة اللغة العربية بالهوية الوطنية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الهوية الوطنية، علاقة التأثر والتأثير بينها.

Abstract

The Arabic language is a means of communication and expression, the language of belief, and a civilization that is ancient

* المؤلف المرسل

and has enormous intrinsic capabilities of sounds, morphology, syntax and grammar, which other languages hide in, and a refutation of the common saying that has numbed the minds of our youth and students at the present time, "The Arabic language is the reason for the backwardness of the Arabs." We try to This research paper is a search for the truth of the Arabic language and the totality of its components and gains between the past and the present, and the challenges of reality and the future.

The time has come to advance our language and stand up to all the bidding and harassment that afflicts it.

The Arabic language is characterized by many intrinsic capabilities and privileges and keeps pace with the spirit of the age and its technologies, but it has faced and still faces many obstacles and obstacles that have caused the weak use of this language in all fields, as well as maintaining the stability of the national identity. As a means that links generations to each other, they pass on the historical and intellectual heritage that strengthens and strengthens the bonds of love, making them proud of belonging to this language, and to this nation that belongs to this language.

In order to investigate this, we will seek to know the status of the Arabic language among the languages, foundations and educational curricula that should be adopted in order to obtain the best educational system for the Arabic language that keeps pace with the requirements of contemporary life and its relationship to the national identity. Is it directly or inversely proportional to it?

This is in an intervention we call "the impact of the Arabic language on consolidating the elements of national identity."

In order to understand the topic, we will try to include:

• The status of the Arabic language, its potential and its own privileges.

• The educational reality of the Arabic language.

• The relationship of the Arabic language to the national identity.

Key words: *the Arabic language, national identity, the relationship of influence and influence between them.*

تمهيد:

إن حكاية اللغة العربية كما أراد الله لها أن تكون لغة القرآن الكريم ، حملت رسالة النبوة وحفظت دستور البشرية، إذ أدهشت العالم في مرونتها وثروتها اللغوية، وذلك باعتراف مفكرين وعلماء، وهي لغة التراث العربي جملة، ولغة الاستعمال الرسمي واللغة التي يدوّن بها النتاج الأدبي والفكري.

وانا لنجد من واجبنا معرفة لغتنا، اللغة التي خدمت الإنسانية يوم كان العالم في القرون الوسطى يتخبط في ظلمات الجهل والطغيان، وذلك بالغوص في غمار مسيرتها في السنين الغابرة للرد على كل متحايل عليها بالدليل والحجة.

1- جذور اللغة العربية الضاربة في أعماق التاريخ:

عرفت اللغة العربية باسم" مجموعة اللغات السامية" وذلك نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام الذي استقر هو وذريته غرب آسيا وجنوبها حيث شبه الجزيرة العربية، وهي من أقدم اللغات، وأما اللغات السامية فهي: الكنعانية والفنيقية والعبرية والأرامية والنبطية والبابلية والكلدانية والسريالية والهيروغليفية والحبشية، ولقد بادت هذه اللغات وانقرضت إلا اللغة العربية، فقد سادت وانتشرت، في حين لم يبق من تلك اللغات إلا أثار مسجلة على الجلود والأحجار[1]، حيث كانت اللغات السامية أنذاك تقسم على حسب الجهات منها الشرقي ومنها الغربي، فشرقا كانت البابلية والآشورية، أما الجهة الغربية فقسمت إلى شمالية وجنوبية، وكل واحدة كانت لها تقسيمات أيضا من حيث اللغة أو اللهجة، حيث كان شمالها يتحدث الكنعانية وكذا العبرانية والفينيقية التي نسبت إلى أهل فلسطين، والآرامية التي كانت لسان اليهود في فلسطين ومصر.

وكانت لغة القبائل العربية في الجنوب والتي كانت تسمى العرب المستعربة وكذا لغة القبائل العاربة التي كان يطلق عليها السبئية والحميرية والحبشية[2]، وينسبون" اللغات السامية كلها إلى ثلاثة أصول: الآرامية، والعبرانية، والعربية"[3]، وهكذا كان تعدد اللغات أنذاك بين الشمال والجنوب، وبذلك فإنها تختلف من حيث النطق وكذا الإمكانات الأخرى من إعراب واشتقاق وغيرها.

وكان هناك بون كبير وبعيد بين اللغتين – لغة الجنوب ولغة الشمال- ، و" ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا "[4] على حد تقرير أبي عمرو بن العلاء.

ولم تتغلب لغات الشمال على لغات الجنوب فحسب وإنما استطاعت كذلك أن تبرأ مما جنته عليها الأمية والهمجية والبداوة من إضطراب المنطق واختلاف الدلالة وتعدد الوضع، ومنه تغلبت لغة قريش على سائر اللغات لأسباب دينية واقتصادية واجتماعية[5]، وما نستشفه من مختلف الدراسات الأولى أن أصل العربية في بداياتها كان مع الحبشة وأهل الحميرية ثم من اللغات السامية بحكم أن " العرب قوم رحّل وقد اختلطوا بأمم كثيرة، فلابد أن يكون هذا الاختلاط بيّنا في تكوين لغتهم"[6]، كما أنها كانت لغة عاد وثمود وكانت منتشرة في اليمن والعراق إلى أن استقرت بعد التطور والنمو في الحجاز.

وبهذا تطورت العربية إلى أن بلغت أوجها وأصبحت لغة الإسلام ولغة القرآن الكريم، هذا الأخير الذي زاد في تهذيبها وترقيتها، وبهذا الاصطفاء الرباني للغة العربية والارتباط الوثيق بكلام الله، أصبح يتكلم بها حوالي سبعمائة مليون مسلم، وفي ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية" إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة، ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب"[7]، وقد اعتنى بها العلماء عبر مختلف العصور، وعمدوا على وضع ضوابط وقواعد تحفظها من الزوال والتهجين، فمثلا ذاع صيتها وأصبحت لغة حضارة في العصر العباسي ولغة علوم، إذ اتسعت رقعتها نحو الشرق حتى وصلت إلى الصين، وكانت هي اللسان السائد في الدولة الإسلامية.

ولكنها بدأت في التقلص شيئا فشيئا وذلك بظهور العصبيات القومية، وصار لكل قوم لسان حال يتكلم به، تلك الفترة التي دخل فيها المغول إلى بغداد وسيطر العثمانيون على الآفاق، فانتشرت العجمة وتدهورت العربية، إلى أن ظهر ابن منظور(ت711ه) بمعجمه(لسان العرب)، في قوله عن العربية:" وصار[8] النطق بالعربية من المعايب معدودا وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية وتفاصحوا في غير العربية فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفتخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه يسخرون وسميته لسان العرب"[9]، إذ شبه تأليف معجمه الخاص بالترتيب والتصنيف بسفينة سيدنا نوح عليه السلام وأهله ، حيث حاول من خلاله جمع شتات اللغة العربية، وحصر كلماتها في هذا المعجم كي لا تضيع.

حيث بدأت ملامح النهضة العربية منذ نهايات القرن19م، ثم قويت في مختلف المجالات الإنسانية والعلمية، وظهر صراع عنيف للحفاظ على هذه اللغة من القوى الغازية التي سعت إلى إضعافها وإشاعة اللهجات المحلية لجعلها بديلا لتفتيت الوطن العربي إلى أوطان تفصلها حواجز الحدود[10]، وهناك الكثير ممّا دوّن حول محاولات قوى الاستعمار في كتب التاريخ لفرض لغتها وطمس لغة وهوية العرب بمختلف الوسائل لتخترق بذلك ثقافة العرب وتمحو معالم القومية والوطنية العربية، وتزرع أفكارها بسلاحها واقتصادها، وبهذا التغيير وفقدان حروف اللغة العربية

واستبدالها بحروف لغة المستعمر، يسيطر على الأمة العربية فتهتز مكانتها اللغوية، وملامحها الحضارية والقومية[11]، وهكذا تفقد أي لغة القدرة على مسايرة العصور.

ويعود ذلك إلى أسباب تاريخية وسياسية وطبيعية، على غرار العربية التي ظلت تتطور بتطور العصور، وهذا ما أدركه العديد من اللغويين والعلماء أمثال دي سوسير الذي أدرك قضية التطور اللغوي في الصراع بين قوتي التحول والثبات أو المحافظة والتطور، فقوة الثبات تنزع بالدليل اللغوي بوجهيه" الدال والمدلول" إلى الجمود على الشكل والمحتوى، وقوة التحول تنزع به إلى التغيير شكلا ومحتوى. فقوة الثبات هي التي تحقق التواصل بين الأجيال، وقوة التحول هي التي تحقق التلاؤم مع مقتضيات التطور الاجتماعي والحضاري، فاللغة تبقى حية مادام للناطقين بها حياة ونشاط في الحفاظ عليها وإلا تعرضت للفناء والتقهقر[12]، وكان هذا التطور لدى علمائنا العرب يتمثل في دخول ألفاظ من لغات أخرى إلى كلام العرب، ومثال ذلك نجد عالمنا الثعالبي الذي يقر بأن العربية اختلطت بالفارسية في قوله: " فصل في سياقة أسماء تفرّدت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي، فمنها الأواني: الكوز، الإبريق، الطست، الخوان، الطبق...وفصل فيما حاضرت به مما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية: الفردوس(البستان)، القسطاس(الميزان)، السجنجل(المرآة)، البطاقة(رقعة فيها رقم المتاع)..."[13].

على عكس ما أفاد به ابن فارس الذي نفى هذا التأثر للغة العربية بلغات أخرى، وأن اللغات الأخرى هي التي أخذت عن العربية، في حين نجد ابن جني أيّد الثعالبي في تأثر العربية باللغات الأخرى عبر مظاهر إنتقال الكلمات الأجنبية إلى العربية عن طريق التعريف بالألف واللام، والإعراب على النسق العربي، وكذا الإشتقاق[14].

وهذا التطور الذي شهدته اللغة العربية آنذاك كان سببه اختلاط الحياة العربية بالاسلام- ظهور الإسلام- حيث دخلت مصطلحات جديدة لتتغير المعاني المستحدثة أيضا، ومثال ذلك نجد: لفظة (الكفر) فدلالتها الأولى هي الغطاء والستر وبعد الإسلام تغير المعنى، وكذا (الفسق) فكان يقال:" فسقت الرطبة" أي خرجت من قشرتها، أما بمجيء الإسلام فتغيرت الدلالة وأصبحت تعني الخروج عن طاعة الله – عز وجل- وهو ما يعرف حاليا بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للفظة[15].

ومن الأسباب التي ساهمت في تطور اللغة العربية هي ميل المتكلم إلى كل ما أخف على لسانه، والابتعاد عما هو ثقيل، أي عملية التأثر والتأثير السماعية بين الملتقي واللساني، وهو ما عرف بالاستثقال والاستخفاف، وذلك على حسب الاتصال بالكفاءة الحسية والذوقية المتبادلة، واللسان العربي غني بالتلوينات اللغوية، والإنسان العربي في حد ذاته يتّسم بالحس والشعور فما يستثقله ينبذه ويحب ويستشعر كل ما يستخفه ويلائم إحساسه.

وتلك هي الأسباب وغيرها التي صرّح بها ابن جني ساهمت كثيرا في بيان أفضلية اللغة العربية عن باقي اللغات، وأهمها أنها لغة الوحي الكريم الذي نزل على خير الأنام محمد عليه أفضل صلاة وأزكى سلام في قوله تعالى:" ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾"[16].

وأفضلية اللغة العربية تكمن في تفردها بالمرادفات على غرار اللغات الأخرى مثل السيف وأوصافه، والأسد، والفرس وغيرها من الألفاظ والمسميات العربية، وكذا تميزها البلاغي والنحوي من تمثيل ونحو واستعارة وقلب وتمثيل والتقديم والتأخير والإدغام وفي كل ذلك أمر ودلالة مسوغة[17].

وهناك أسباب أخرى قبل نزول الوحي زادت من أفضلية اللغة العربية وتطورها آنذاك، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- اعتزال العرب بلغتهم العربية داخل شبه الجزيرة وعدم اختلاطهم بغيرها من الشعوب.
- سعة اللغة العربية وغناها بالمفردات والحروف وكثرة المترادفات.
- عذوبتها في النطق وموسيقية ألفاظها وجمالية التعبير.

وهذا ما أكده وثمنه لغويون من العرب وغير العرب، منهم ماسينيون الذي صرح في قوله :أن اللغة العربية" آداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل"[18].

ولقد اعتز العرب بلغتهم كما اعتزت الأمم الأخرى بلغاتها، وليس من الغريب لهذا الاعتزاز بالنظر للإمكانات الهائلة التي تتميّز بها.

ونجد من البلاغيين أيضا من نصفوا اللغة العربية وأعطوها كل الحق من الامتياز والتميز، منهم الجاحظ الذي عبّر عن الفصاحة اللغوية للعربية بأنها البيان عمّا في النفس وذلك أن" الإنسان فصيح وإن عبّر عن نفسه بالفارسية أو بالهندية أو بالرومية وليس العربي أسوأ فهما لطمطمة الرومي من الرومي لبيان لسان العربي، فكل إنسان من هذا الوجه يقال له فصيح"[19].

2- ميزات اللغة العربية وإمكاناتها:

تتميز اللغة العربية عن باقي اللغات بإمكانات وطاقات هائلة تستدعي البحث فيها أكثر وحسن استغلالها واستثمارها، والتي تمثلت في عوامل تفردها- اللغة العربية- وكذا موقعها بين اللغات، وخصائصها النحوية واللغوية ومميزاتها.

1.2. أسباب أفضلية اللغة العربية:

هناك عوامل عديدة ساعدت على إثراء اللغة العربية نذكر منها:

أ/ القدم: *تعد اللغة العربية من أقدم اللغات الحية زمنا وأطولها عمرا، إذ نزلت في شبه الجزيرة العربية كما سبق الذكر، التي تتواجد فيها مكة التي وُضع فيها أول بيت للناس في قوله تعالى:* ﴿***إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ***﴾[20].

وما يدل على قدمها أيضا ما روي عن الشعر الذي قيل في حق أبي البشرية سيدنا آدم عليه السلام، وقيل أنها لغته في الجنة مثلما دوّن في كتاب المزهر للسيوطي.

وكانت اللغة العربية أول لسان نُزِّل به آدم من الجنة[21]، وعن ابن عباس أن" آدم عليه السلام كان لغته في الجنة العربية"[22] ، وأوّل من تكلّم بها هو سيدنا إسماعيل عليه السلام وذلك ما أورده ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء) في قوله:" أول من تكلّم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل عليه السلام"[23]، وهي من أقدم اللغات السامية أو كما قيل من أقرب اللغات إلى اللغات السامية،

وفي ذلك يقر الباحث العقاد بأن في اعتقاده:" أن اللغة العربية أقدم من معظم اللغات الحديثة، وأن شواهد سبقها في التقدم تزيد على الشواهد التي يستدل بها على سبق أقدم اللغات الأخرى"[24]، وهي أم اللغات مثلما عدّها الباحث مُحَمَّد أحمد مظهر من خلال عنوان كتابه عن المقارنة بين مصطلحاتها والمصطحات اللاتنية التي يحسبها من مشتقات العربية، على سبيل الذكر نجد:

كلمة(Aspire) بمعنى أتنفس ويقابلها بالعربية الزفير، وكلمة (Arrive) في الانجليزية تعني الوصول إلى المرفأ، وتقابلها في اللغة العربية " أرفأ" وهي بنفس المعنى[25]. وهناك الكثير من المفردات التي تتشابه في الحروف وكذا المعنى في غالب الأحيان.

ب/ سعتها: تبيّنت سعة اللغة العربية وثرائها من خلال المعاجم والموسوعات التي ألفها العديد من اللغويين بعدما لاحظوا الكم الهائل للمفردات وتوافقها اللغوي والاصطلاحي في اللغات الأخرى، وكذا اعتمادها على الثنائية الحرفية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر لسان العرب لابن منظور الذي يشمل الكثير من الألفاظ والمصطلحات العربية في مرادفاتها ومعانيها واشتقاقاتها، وقد اعتبره الشافعي من" أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها"[26]، ونجد من المعاجم أيضا معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وتاج العروس للزبيدي، والمعاجم الحديثة، واصدارات المجلس الأعلى للغة العربية والمجامع العربية.

ت/ اللغة العربية لغة القرآن الكريم:

القرآن الكريم أساس تعليم اللغة العربية بحكمها اللغة التي كُتِب بها، وفيه خطاب تواصلي للبشرية المسلمة جمعاء باستعمال أسلوبي الترغيب والترهيب، فلذا نجده حضرا في كل المحتويات الدراسية التعليمية عبر جميع الأطوار، فمنه نتعلم أصول الفقه وكذا النحو، وعلوم اللغة العربية المختلفة، بوسائل بيداغوجية متنوعة.

3. واقع تعليمية اللغة العربية والهوية الوطنية:

بات تعليم اللغة العربية أمرا ضروريا وهاما في جميع الدول العربية، وبمختلف الطرق والاستراتيجيات المتاحة لكل دولة، فالجزائر مثلا باعتبارها دولة عربية واسلامية حاربت من أجل اللغة العربية وتعليمها وعانت الكثير لاثباتها وذلك لاثبات الهوية الوطنية، ودسترتها مقوما من مقومات الهوية العربية والاسلامية، رغم كل الصعوبات والعراقيل التي واجهتها من طرف المستعمر الفرنسي، فعمدت آنذاك كتحدّ للحفاظ عليها، بتدريسها في الكتاتيب والمدارس القرآنية، إذ جعلتها شريكا في الحياة العلمية والثقافية والسياسية، وذلك بإقرار مناهج تعليمية مناسبة.
فبدأت عملية التدريس بتحفيظ القرآن الكريم ومنه إلى تعليم قواعد اللغة العربية ونحوها.

وقد تعدّدت مفاهيم الهوية وتنوعت من عالِم لآخر، وكل واحد من أفراد المجتمع يخشى على هويته، فيحارب من أجل الحفاظ عليها، والفرد العربي اعتمد اللغة العربية للمحافظة على الهوية وخاصة الوطنية، أي هناك تعالق بين تعليم اللغة العربية والهوية الوطنية باعتبارها عنصرا من عناصرها الانتمائية إلى جانب الدين والتاريخ والعادات والتقاليد. وبما أن الهوية هي تلك الزخم الثقافي واللغوي والعقائدي للأمة، فاللغة أيضا هي لسان تلك الأمة عن أحوالهم وثقافاتهم وأساطيرهم وكل ما يتعلق بحياتهم الواقعية، وهذا ما نجده موضوع العديد من الانتاجات الأدبية كالرواية والشعر العربي والمسرح.

ومنه فإن الانتاج الأدبي المدون باللغة العربية ساهم وبشكل كبير - من خلال المواضيع التي تطرق إليها الكاتب- في المحافظة على الهوية الوطنية، وفي ذلك شحذ للهمم وحث على التمسك بالوطن والوحدة الوطنية وكذا الديانة وكل مقومات الأمة العربية والوطنية على وجه الخصوص، وهذا ما لاحظناه جليا وبصورة قوية في المدونات الثورية التي شارك بها الأدباء ومنهم نذكر الشاعر الكبير مفدي زكريا، أي كل جزائري على سبيل المثال لا الحصر شارك في الثورة والدفاع عن الهوية الوطنية بما يملك إلى جانب ثوار السلاح، هذا في وقت مضى ولازالت تلك الأفكار متداولة لحد الساعة، فنجد الشاعر المعاصر أيضا لازال يلح على التمسك بالهوية والوطنية، لأن " اللغة هي تعبير عن تلقائية روح الشعب، إنها عصير الحياة للأمة، الضمير القومي للأمة لا يمكن أن يتبلور إلا من خلال الأدب الذي تخلقه قريحة لكل الأمة"[27].

ضف إلى ذلك في المجال التعليمي الأكاديمي نجد الوزارات المعنية ضمّنت المحتويات الدراسية والمناهج بمواضيع تحث على الحفاظ على الهوية الوطنية ومنها اللغة العربية، لأن هذه الأخيرة تعمل على توحيد الانتماء العربي والاسلامي بحكم الموحد هو كتاب الله،

فالهوية الوطنية التي هي روح الشعب تحركها وتزيد من ديناميكيتها وديناميكية التطور السياسي والاقتصادي اللغة، وهذا ما عبّر عنه العالم موسMosse حين قال:" أن روح الشعب هي القوة الخفية المعنوية التي تسيطر على الجماعة فتفرض الترابك وتتحدى الأحداث وتنتظر اللحظة المناسبة لتتفجر حقيقة واقعة ، فإذا بها أمة ودولة، بل وظيفة حضارية وقيادة إنسانية. إن روح الشعب هي وحدها محور التطور ، إذ الزعيم هو من يملك الحساسية والعلاقة المباشرة الخفية مع روح الشعب، وما روح الشعب وما الذي يسمح باستمراريتها رغم الأحداث؟ إنها اللغة أقدس الأقداس"[28] ، وهذا ما ينطبق على كل أمة وهويتها ولغتها، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية، فبدونها لا مجال للحديث عن تاريخ أمة وهويتها الوطنية والقومية.

نعتني باللغة العربية انطلاقا من المقومات الرئيسة للبلاد، والعربية تكتسب مواطن القوة من مؤشرات عديدة، وقد كان واقع اللغة العربية مقلقا في سنوات قريبة خلت لأنها تعرضت للكثير من المضايقات والمزايدات اللغوية، لكنها لم تمت وإنما بقت حية مستمرة، وكل ما تعرضت له أصبح مؤشرا لزيادة الجهد لخدمتها من طرف متكلميها، وهذا ما لمسناه من خلال الحراك الجيد على المستوى الدولي والاقبال الكبير على تعلمها وتعليمها من خلال إنشاء مدارس تدرس اللغة العربية كالصين وتركيا مثلا.

والهوية الوطنية هي سر اهتمام المجتمع العربي باللغة العربية، إلا أن البعض من المتحدثين بها يستحيون التكلم بها، ويخجلون بعربيتهم وبثقافتهم العربية، إذ نجد الحصري يمجد اللغة القومية وأهميتها في بناء أمة فيقول:" اللغة القومية تعتبر بمثابة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب. إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين،فقلب الشعب ينبض في لغته وروحه وتكمن في بقاء هذه اللغة"[29]، فلذا وجب علينا الاعتزاز بالمواطنة اللغوية والاهتمام بها أكثر فأكثر، فالعربية ضمير الأمة الغائب ولبنة الحضارة، وجميلة اللغات ولسانها المهجور، وقد حافظ عليها الخط العربي.

كما ثمّن تلك القيمة الفعالة للغة العربية في ترسيخ الهوية الباحث مُحَمَّد تيمور في أنه:" إذا كانت الامبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهي قائمة في مظهر لغوي يربط بين من ضمت من الشعوب، ونحن نعمل بواعيتنا الظاهرة والخافية على استبقاء رباطنا الامبراطوري في صورة اللغة العربية، كأننا بهذا الرباط نعمل على إحياء امبراطوريتنا الزائلة، على نحو يلائم ملابساتنا الحضرة، فإيماننا بالفصحى مستمد بإيماننا بتلك الامبراطورية التي تتجمع فيها أمجادنا التليدة، وإننا بذلك الإيمان نستمسك بمقومات شخصيتنا العزيزة علينا وعلى تاريخ الانسانية جمعاء، وفي هذا الاستمساك تلتقي مشاعرنا الطبيعية، لحماية أنفسنا في معترك تنازع البقاء"[30]، فالاعتزاز باللغة العربية اعتزاز بالهوية والانتماء القومي، فلابد من الاهتمام أكثر، وحفاظا عليها وجب علينا التكاتف والتعاون جميعا، ففي الجزائر مثلا نجد المجلس الأعلى للغة العربية يبذل قصارى جهده لترسيخ الهوية الوطنية من خلال اللغة العربية في إصدار المعاجم وكذا دور مجمع اللغة العربية، وصاحب النظرية الخليلية الحديثة الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح رحمه الله الذي أعطى نفَسا للغة العربية لمواكبة التطور التكنولوجي والحضاري، وأخذت العديد من الإجراءات على المستوى الوطني منها ما طبق ومنها ما نأمل أن يطبق نذكر منها:

- تعميم العمل باللغة العربية في الإدارات والمؤسسات بمختلف تخصصاتها.
- إثراء المحتويات الدراسية بكل ما يصب في الهوية الوطنية من موضوعات بلغة عربية فصحى قح.
- تكييف اللغة العربية مع متطلبات الحياة العلمية والحياتية.
- تجريم النطق بغير العربية في الإعلام مثلا (هذا كاقتراح)، فلابد للإعلامي اتقان اللغة العربية لأنه شريك فيها.
- لابد أن لا ينطق الأستاذ بالعامية بتاتا في القسم التعليمي(وهي عقدة المغلوب عليه وما نلاحظه في بعض أقسام المدرسة

الجزائرية في وقتنا الراهن)، فهنا العيب ليس في الطالب أو المتعلم وإنما في صاحب القرار الذي يعمل على إجباريتها.

- لابد من النظر في توجيه طلبة الجامعة مثلا، لأننا نرى إهمال فروع اللغة العربية في التوجيه الجامعي، أي الرغبات توجه

عنوة إلى العلوم الإنسانية.

- التشجيع على القراءة ومنها إلى الثقافة والتمسك بالوطنية، وبالتالي الاعتزاز بالهوية اللغوية، ولا يكون تمييز بين اللغات وإنما

تفاضل بينها فقط مثلما هو الحال في الجزائر اللغتين الرسميتين العربية والأمازيغية.

- لابد من نبذ التفكير السلبي الذي يفي بأن لغات العالم منتجة للعلم واللغة العربية غير ذلك.

فإن اللغة العربية كباقي اللغات ساهمت وبجد كبير في شد همم الشعب العربي وتماسكه وترابطه على اعتبار أن" اللغة هي الهوية الكبرى التي تنضوي تحتها تلك الهويات الفرعية الأخرى من دين أو عشيرة أو جماعة ما، فتحديد الهوية يعزّز بواسطة اسم اللغة التي تفي بالوظيفة الرمزية للتمثيل على المستويين الاجتماعي والفردي"[31].

وختاما لا ننكر أن اللغة العربية هي مركز السيادة ، ولها قدسية خاصة وهي لغة فكر، فالمحيط والمجتمع لهما دور مهم في الحفاظ عليها لدورها الفعال هي الأخرى في إثبات هويتنا الوطنية، وسنتحدى كل الصعاب وكل من استهجن

وشوه اللغة العربية سواء من غير الناطقين بها أو من مستعمليها اليوم، فهي حكاية فخر لأنها لغة القرآن الكريم وقد بلغت من الانتشار بفضله مدى واسعا وهذا ما أقره كارل بروكلمان في قوله:" إن ما يكتب عن العربية وعلومها بلغات الغرب حاليا في الكتب والدوريات الغربية على أيدي المستشرقين، وتلاميذهم من العرب لكثير، إلى الحد الذي يستدعي من بعضنا الغرابة"[32]، وقد تفردت في التعبير العلمي والفني، وهذا بشهادة غير الناطقين بها من علماء وباحثين، منهم على سبيل المثال الباحثة الألمانية زيغريد هونكه في قوله": كيف يستطيع الإنسان أن يقوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟!

فجيران العرب المسلم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى من سحر تلك اللغة، حسبما كان يشكو أساقفة اسبانية بمرارة، فقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم لتعلم تلك اللغة ويتكلمون بها بشغف حتى أن القبطية والآرامية فقد غابت تماما وحلت محلها العربية"[33]، فعلاقة اللغة بالهوية علاقة وجود وتكامل.

القرآن الكريم:

- سورة الشعراء، قراءة ورش.
- سورة آل عمران، قراءة ورش.

المصادر والمراجع:

- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، المكتبة العلمية، تح: محمد علي النجار، 1952.
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحك ناصر عبد الكريم العقل، المجلد الأول، مكتبة الرشد، الرياض.
- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، ط8، 1425ه/2004.
- زهير غازي زاهد، العربية والأمن اللغوي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2000.
- ساطع الحصري، ماهي القومية، دار العلم للملايين ، بيروت، د.ت.
- سمدون حمادي وآخرون، اللغة العربية والوعي القومي ، بيروت 1984.
- عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، القاهرة، مصر.
- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1392ه/ 1972م.
- كارم السيد غنيم، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة، مصر، 1990.
- محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، مصر، ط1، 1938.
- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د.ط، 2012.

المصادر والمراجع المترجمة :

- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقلا عن الألمانية فاروق بيضون، دار الجيل، بيروت، ط8، 1993.

المقالات:

- أحمد عفيفي، اللغة المؤسس الحقيقي لقيم الهوية والانتماء، نقلا عن مقال (اللغة الهوية- الهوية اللغة، ثنائية الحضور والغياب في فلسفة دريدا، للباحثة نعيمة بولكعيبات، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع2، م31، 2017.
- بوشموخة منى، ناصر موسى، جهود المستشرقين في الدرس النحوي العربي-كارل بروكلمان أنموذجا- ، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد4/ العدد1، جوان 2021.
- وزارة التربية الوطنية، مجلة تربوية ثقافية، الجزائر، العدد3.

المواقع الالكترونية:

-عدد اللغات السامية

https://mawdoo3.com/%D8%B9%D8%AF%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9

الهوامش:

1- ينظر، كارم السيد غنيم، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة، مصر، 1990، ص10.
2- ينظر، مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د.ط، 2012، ص64.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
4- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، ط8، 1425ه/2004، ص16
5- ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
6- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص 68.
7- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحك ناصر عبد الكريم العقل، المجلد الأول، مكتبة الرشد، الرياض، ص469.
8 - ينظر: عدد اللغات السامية
https://mawdoo3.com/%D8%B9%D8%AF%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9
9- زهير غازي زاهد، العربية والأمن اللغوي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص9
10- ينظر، المرجع السابق، ص 10.
11- ينظر، زهير غازي، العربية والأمن اللغوي، ص17.
12- ينظر، المرجع نفسه، ص31
13- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1392ه/ 1972م، ص105.
14- ينظر، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، المكتبة العلمية، تح: محمد علي النجار، 1952، ص359/357.
15- ينظر: عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص107
16- سورة الشعراء، قراءة ورش، الآية 195.
17- ينظر: عبد الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص101.
18- كارم السيد غنيم ، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، ص11
19- الجاحظ، الحيوان، ج1، ض32.
20- سورة آل عمران، قراءة ورش، الآية 96..
21- ينظر، السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص30.
22- المصدر نفسه، ص30.
23- المصدر نفسه، ص32.
24- عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، القاهرة، مصر، ص14
25- ينظر، المصدر نفسه، ص14
26- محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، مصر، ط1، 1938، ص42.
27- سمدون حمادي وآخرون، اللغة العربية والوعي القومي ، بيروت 1984، ص265.
28- المرجع نفسه، ص259.
29- ساطع الحصري، ماهي القومية، دار العلم للملايين ، بيروت، د.ت، ص56.
30- وزارة التربية الوطنية، مجلة تربوية ثقافية، الجزائر، العدد3، ص12.
31- أحمد عفيفي، اللغة المؤسس الحقيقي لقيم الهوية والانتماء، نقلا عن مقال (اللغة الهوية- الهوية اللغة، ثنائية الحضور والغياب في فلسفة دريدا، للباحثة نعيمة بولكعيبات، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع2، م31، 2017، ص277.
32- بوشموخة منى، ناصر موسى، جهود المستشرقين في الدرس النحوي العربي-كارل بروكلمان أنموذجا- ، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد4/ العدد1، جوان 2021، ص27
33- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقلا عن الألمانية فاروق بيضون، دار الجيل، بيروت، ط8، 1993 ، ص367.